طرق وأشكال استعمال الفضاء العمراني بين الماضي و الحاضر
حالة مدينة قسنطينة

يوسفي فهيمة

قسم الهندسة المعمارية و التعمير جامعة منتوري

تاريخ الإستلام 2005/01/05– تاريخ القبول2010/01/01

ملخص

يواجه الواقع العمراني لمدننا مشاكل خطيرة سببها الرئيسي إدخال نظم عمرانية عصرية لا تحترم طرق وأشكال تملك فضاءنا العمراني. إن مواكبة التطور لا يعني إنكار تاريخ مدينة بأكملها، بعد أن شهدت حضارة عريقة في القرون الماضية؛ بل يجب أن ندرس هذا التاريخ ونكيفه مع نمط العصر. لقد استطاعت مدننا القديمة التلاؤم مع موقعها وموضعها وحجمها المساحي مما أعطى اندماجا وتنظيما عمرانيا جيدا، في حين أن النظام العمراني الجديد لمدننا الكبرى لم يستطع التلاؤم مع الشروط الطبيعية والثقافية للمنطقة، مما أعطى تدهورا وانحطاطا للتجمعات العمرانية لأنه وافق فقط الشروط الاقتصادية، مهملا كل العلاقات الأساسية التي كانت تنظم المدينة. الهدف من هذه الدراسة لا يعني العودة إلى التقليدي ولا البحث عن الاستثناء، بقدر ما يدعو إلى إدراك طبيعة المتغيرات المعاصرة والآفاق المستقبلية التي تتفتح في الإطار التاريخي حتى نعطي ديناميكية جديدة للممارسة المعمارية والعمرانية المستلهمة من تراثنا الإسلامي والملبية لمتطلبات الحاضر. العدد النادر من المهندسين المعماريين المهتمين بهذه القضية الواعين بالثروة العمرانية والمعمارية للعالم العربي واغلبهم أجانب, فهموا بأن العمران الأكثر ايجابية يقع في نقطة تقاطع لوظيفتين واحدة ثابتة وتمثل المداومات المحلية سواء كانت اجتماعية , ثقافية أو جغرافية والأخرى متصاعدة و تمثل معايير التطور العالمي للتكنولوجيا.[1]

الكلمات المفتاحية: تملك الفضاءات العمرانية، العمران الملائم لثقافة الشعب، العمران التقليدي، العمران الحديث، نظم عمرانية ومعمارية غير ملائمة.

Résumé

La réalité urbaine de nos villes est confrontée à de graves problèmes, menés principalement par l'introduction des systèmes urbains qui ne respecte pas les modalités et les formes d'appropriations de notre espace urbain. Le progrès ne consiste pas à ignorer toute une histoire d'une ville après avoir vécu une haute civilisation dans les siècles passés, mais de l'étudier et de l'adapter au mode de vie moderne. Les tissus anciens des médinas ont su s'adapter aux conditions morphologiques de l'assiette de support, ce qui a donné une bonne intégration et une bonne structuration de l'espace qui respectait les modalités d'implantation, mais l'urbanisation récente a causée la destruction et le déchirement de nos entités urbaines, car elle ne répond qu'aux seules raisons économiques, ignorant tous les rapports fondamentaux qui régissaient autrefois la structure spatiale de notre ancienne cité. L'objectif de cette étude ne prône ni un retour au traditionnel, ni une recherche de l'exceptionnel, mais de saisir à travers l'étude de l'évolution de la forme urbaine, la nature des mutations contemporaine et les perspectives qu'elles ouvrent dans le cadre historique, afin de donner une nouvelle dynamique à la pratique urbaine et architecturale, s'inspirant des enseignements du passé et répondant aux exigences du présent. Les quelques rares architectes sensibilisés à cette question et conscient de toute la richesse du monde arabe sont pour la plupart des étrangers qui ont compris que l'architecture optimale se situe à l'intermédiaire de deux niveaux l'une ascendante et représentant les paramètres du développement économique et l'autre permanente et représentant les permanences géographiques et locales [1] temps où il s'est produit et son lieu. La Casbah d'Alger fut l'échantillon choisi.

Mots clés : appropriation des espaces urbains, urbanisme adapté, urbanisme traditionnel, urbanisme moderne, système urbain et architectural non adapté.

Summary

The urban reality of Algerian cities is confronted at serious problems. The main reason behind these is the continuous use of imported urban systems which does not fit for the local environment. Progress do not consist to unaware the history of a city after a great civilization during the spent centuries, but we try to study this carefully and adapt it to our modern life. The traditional building morphology is well integrated to the site and strongly adapted to the built environment however the recent urbanization leads to the deterioration and the tearing of our urban entities. The modern constructions respond only to the economic crisis which ignores the fundamental reports/ratios which governed the space structure of the old city. The main objective of this research do not aim a return to the traditional architecture, nor a research of the exceptional, but to find out through the study of urban forms evolution, the nature of contemporary mutation and the perspectives which they are opened in the historical field, in order to give a new dynamic to the urban and architectural practice, that are inspired from the past knowledge and fulfill the actual requirements. The majority of architects conscious about the richness of Arabic word are foreigner, those architects, understand that the optimal architecture is situated between two levels: the first ascending represented the parameters of the economic development; the second permanent represented the geographical and the local permanence.

Key words: appropriation of urban spaces, adapted town planning, traditional town planning, modern town planning, urban and architectural systems not adapted

© جامعة منتوري قسنطينة, الجزائر, 2010

المقدمة

تخلق كل مدينة منذ نشأتها وباستمرار مميزاتها الخاصة، يسمى هذا التطور التدريجي : النمو الفردي للمدينة. ويتكون هذا التطور من ثلاث مجموعات من العوامل:

1. طبيعة المكان (المناخ، الجيولوجيا، التضاريس).
2. السكان ومميزاتهم الديمغرافية والاجتماعية.
3. أشكال النشاطات الاقتصادية والثقافية.[2]

نتيجة لهذه المعطيات ليمكننا وضع قاعدة ثابتة للتخطيط العمراني نطبقها على كل المدن، وإنما نظريات عامة، لأن كل مساحة عمرانية تتطلب تحليلا ومعالجة خاصة مرتكزة على مميزات المدينة نفسها، وفي هذا يؤكد حسن فتحي قائلا:

إن المهندس المعماري لايضع عمله في الفضاء بين النجوم، لكن في محيطين، الأول من خلق الله والثاني من صنع الإنسان إذا لم يؤخذ الثاني بعين الاعتبار فإنه يعتبر نقصا حضاريا إزاء من سبقوه (هذا إذا أخذوا هم بعين الاعتبار المحيط الذي خلقه الله). [3]

إن البناء المعماري والعمراني الذي لايحترم مميزات الموقع العمراني و الثقافي والطبيعي يولد غالبا تفكك وتدهور هذا الموقع. نظرا لهذا يجب دراسة هذه التغيرات والتحولات المستمرة التي توقع المدينة في تبعية ثابتة في أشكالها التملكية للفضاء، حتى نعطي ديناميكية جديدة للممارسة المعمارية والعمرانية، مستلهمة من تعاليم تراثنا الإسلامي وملبية لمتطلبات الحاضر.

إن هذه التقارير تدفعنا للتساؤل عن الوسائل اللازمة للتحكم في مشاكل هذا النمو. إن عملي هذا يستهدف فهم الظواهر العمرانية وارتباطها بالنمو الحضري للمدينة، ثم وضع بعض التوجيهات الخاصة لتوجيه المختصين في ميدان التهيئة العمرانية في مجال تصميمهم العملي.

I- أشكال النمو وتملك واستعمال الفضاءات العمرانية :

إن مدينة قسنطينة كغيرها من المدن الجزائرية ماهي إلاّ نتيجة لتطور متتابع لعصور عديدة حيث أن تطورها مرتبط بشروط تاريخية، اقتصادية، سياسية واجتماعية، كما أنها متأثرة بتنوع كبير راجع إلى تاريخها العمراني وموقعها المتميز.

إن قسنطينة تعرف عدة أنماط عمرانية تتعلق بإنتاج عمراني متميز:

- النواة المركزية ⟵ المدينة القديمة
- الإمتداد الاستعماري ⟵ المدينة الأوروبية
- التجمعات الشعبية ⟵ عمران عشوائي
- الامتداد المعاصر ⟵ عمران حديث

1.I الشكل الأولي لتطور المدينة :(النظام العمراني التقليدي)

النواة المركزية التي تمثلها قسنطينة القديمة (شكل1) ، تقدم نظاما أصيلا(1) ينطلق منه مخطط ذو مبادئ خاصة بكل أجزاء وعناصر المدينة التقليدية، حيث أن البيت فيها يتشكل حول ساحة مفتوحة تمثل أداة تدرج فضائي ووظيفي ومناخي.

بينما تأخذ الوحدة السكنية (îlot) الدرب (impasse) كأداة أساسية لتنظيم عناصرها مكونة بذلك قطعا سكنية، أما الحي فيدير ظهره لوسط المدينة مكونا تجهيزاته الخاصة (مسجد، حمام، مرافق تجارية)

أخيرا، فإن المدينة تتكون داخل جدرانها، وتأخذ من المسجد مركزها الفعّال حيث أن عناصرها تنتظم بطريقة تدريجية من المركز إلى الضواحي.ألا يمثل هذا النظام عمرانا أصيلا متميزا خاصا بالمجتمع الإسلامي الذي يأخذ من مبادئه وقوانينه الروحية سببا لتنظيم وتخطيط فضائه؟

شكل1 مدينة قسنطينة القديمة (الصخرة) قبل 1837

المصدر: www.constantine.free.fr

2.I الشكل الثاني للنمو (نظام عمراني احتلالي):

تأتي بعد هذه المرحلة المدينة الاستعمارية التي أثرت علي العادات والتقاليد العمرانية. الصخرة التي تمثل الحصن المنيع لقسنطينة القديمة جزئت إلى قسمين ؛ القسم الأعلى حوّل من طرف المعمرين حسب احتياجاتهم ومتطلباتهم، والقسم الأسفل ترك للجزائريين (الشكل2)، ولهذا فإن المدينة القديمة فقدت بعضا من خصوصياتها وأشكالها المعمارية الأصيلة . إن الامتدادات التي أتت لاحقا كانت تلبي متطلبات وتقاليد المعمرين الأوروبيين ولم تكن تناسب الشكل العام للمدينة نظرا لاختلاف الثقافتين الأوروبية والإسلامية.

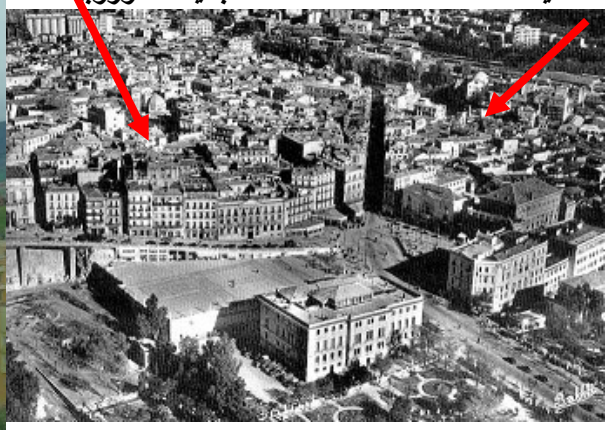

الشكل2 تقسيم المدينة وإقامة بنايات الأوروبية

المصدر:www.constantine.free.fr

(1)الأصالة تعبر عن التميز والتفرد لمنتوج معين. وتعتبر مدينة قسنطينة القديمة بحضارتها العريقة وبناياتها و موقها المتميز مثالا عن المدينة الأصيلة. و من أمثلة تلك الأصلة نذكر الخصوصية التي يتميز بها المنزل التقليدي من سقيفة ونوافذ متوجهة نحو الداخل، التدرج من العام إلى الخاص، المسجد الذي يمثل المركز الروحي و القيادي.

I-3الشكل الثالث للنمو (نظام عمراني معاصر):

بعد الاستقلال تفاقمت الظاهرة أكثر فأكثر مع النمو الديموغرافي الطبيعي للمدينة والنزوح الريفي، ففي غضون عشر سنوات تضاعف عدد السكان بينما لم يتجاوز معدل التعمير و البناء 7.5% من كل سنة. [4] لمواجهة هذه الأزمة، اتجهت الجزائر نحو تعمير متسرع و امتدادات للمدن دون أي تخطيط وتنظيم شامل مسبق. فقد لجأت إلى توحيد النمط كحل وحيد لتلبية الطلب المتزايد، ولكن للأسف كان هذا حلا غير مناسب للمدينة والبيئة وغير كاف لحل أزمة السكن، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، نلاحظ عدم تكيف النمط المعيشي المحلي مع التقنيات والأنماط المعمارية المستوردة.(شكل3) نتيجة لهذا التسارع العشوائي في بناء المساحات العمرانية ، انفجرت المدينة وفقدت السيطرة على عناصرها الأساسية التي كانت تحكم نظامها في السابق وبالتالي لم تستطع المدينة أن تصل إلى المستوى الحضاري بافتقارها إلى معايير التخطيط والتنظيم العمراني.

يشير Guy Burgel في "مدن جزائرية" إلى الخلل الواضح في الوضعية الحالية للمدن الجزائرية، والذي يظهر جليا في عشوائية الامتدادات العمرانية للمدينة، كما يشير أيضا إلى اضطراب كبير في الوقائع و المفاهيم حيث يؤكد على الآثار السلبية التي أحدثتها العولمة في أشكال التعمير للمدن "غير المنتهية" لأنه غالبا ما تكون آليات التخطيط غير ملائمة لأرض الواقع. [5]

الشكل3 : الامتدادات المعاصرة لقسنطينة

المصدر:المؤلف

لاحتواء هذه المشاكل وإيجاد حل لها، من الضروري تحديد معايير التنظيم مبرزين بذلك التغيرات الحديثة إزاء الماضي الموروث.

1- المعيار الأول: العلاقة بالموقع

إن التكيف مع الموقع يكوّن علاقة شكلية بين أشكال الهندسة المعمارية و موقعها، وهذا التكيف له علاقة بمميزات الفضاء المعماري ووضعية البناء و تضاريس الموقع. كما أن التكيف مع الموقع والتحكم فيه يولد علاقة وطيدة بين المدينة وموقعها. إن احترام هذا الأخير يعني أن لا نتعامل معه بعنف بل أن نتكيف معه باختيار مواد البناء و أشكال البنايات التي تناسبه.

للموقع دور هام في المخطط العمراني من حيث:

- تحديد الشكل العام للمدينة في علاقاتها بالموقع.
- خلق التسلسلات اللازمة.
- وضع النقاط المرجعية (أي إنشاء بنايات ثقافية و اجتماعية في مواقع معينة تمثل مرجعا للسكان)
- اختيار المراكز العمرانية و علاقتها ببعضها[6]

إن المدن القديمة تمتلك هيئة عمرانية متجانسة وبسيطة، لأن شكلها كان استجابة لظروف سياسية و اجتماعية و ثقافية ومناخية معينة ، لذا استطاعت أن تكون علاقة واضحة بمحيطها الطبيعي.

لقد استطاع الفضاء العمراني لمدينة قسنطينة القديمة بمنازلها المطلة على الداخل و أزقتها الضيقة ، أن تتلاءم مع موقعها الفريد من نوعه (شكل4)، من حيث أشكال وتركيبية البنايات و ألوانها المنسجمة مع طبيعة المكان المنحدر.

شكل4: موقع الصخرة :مدينة قسنطينة القديمة

المصدر: www.constantine.free.fr

إن النظام العمراني الجديد لمدننا الكبرى لم يستطع التلاؤم مع الشروط الطبيعية للموقع لأنه وافق فقط الشروط الاقتصادية المتمثلة في مرد ودية المشاريع، مهملا كل العلاقات الأساسية التي تربط الفضاء العمراني بالموقع مما أدى إلى تدهور المحيط والموقع. إن الأحياء الحديثة في بلادنا تعلن منذ نشأتها عن تدمير للمكان الذي احتلته لأنها لا تحترم شكله و مميزاته ومنه كانت النتيجة أن البنايات غير متجانسة ومبعثرة. مثال علي ذالك حي بوصوف إحدى الأحياء الحديثة لمدينة قسنطينة ذات الموقع الشديد الانحدار، فالمخططون لم يراعوا الطبيعة الطبوغرافية للمكان حيث لا توجد تدرجات في المباني حسب طبيعة تضاريس الموقع.
في كتاب site et sitologie يقول الكاتب أن هناك ثلاثة أسباب تدمّر المحيط و البيئة:

- التعمير الفوضوي الذي لا يراعي القواعد الأساسية لتشكيلة البنايات ويفسد الانسجام الطبيعي للمحيط.
- التطور التكنولوجي الحديث الذي مكن من اختراع مواد للبناء سمحت بتعمير مواقع غير قابلة للبناء.(مناطق معرضة للانزلاق، للفيضانات)
- أشكال البنايات الموحدة النمط التي لا تراعي خصائص الموقع الذي تبنى عليه بل تراعي فقط الخصائص التجارية لأجل تسويقها.[7]

2- المعيار الثاني:العلاقة بالعقار

يعرف الكاتب "Alain.R" التقسيم العقاري أنه تقسيم الأراضي إلى قطع لاستعمالها كقاعدة للبنايات وهذه الأخيرة تؤثر و تتأثر بشكل ومساحة القطعة العقارية.[8]
إن هذا التقسيم العقاري في النسيج التقليدي يحدد الممرات وشكل وحجم الفضاءات الخارجية ويعكس النظام الاجتماعي، والثقافي والاقتصادي للمبنى، كما أنه يعبر عن علاقة مهيمنة داخل الفضاء.أما العمران الحديث فلا يعترف بالإشكال العمرانية القديمة ؛ فقد قضى تماما على التقسيم العقاري القديم (parcellaire le)؛ حيث أصبح يقسم العقار إلى مناطق فيها سلسلة من الفضاءات العمرانيّة تسمى التنطيق (zonage) .

إن هذا التقسيم الجديد خلف مجموعة مناطق مستقلة وظائفها كالتالي:
وظيفة سكنيّة (habiter) وظيفة حركيّة (circuler)، وظيفة للعمل (travailler)، ووظيفة ترفيهيّة (se distraire)، و كل وظيفة تعمل بمفردها وكانت النتيجة أن هذا التقسيم لم يتلاءم واحتياجات و متطلبات المجتمعات ممًا أدى بالسلطات في كثير من البلدان الأوروبية إلى تهدّيم مجموعة من السكنات اعتبرت بؤرا لكثير من الجرائم في الغرب [9] ، لكن هذا لم يمنع بلداننا من بناء أحياء بنفس الطريقة التي أثبتت عدم صلاحيتها ولم يترددوا في استيراد نظم معمارية أثبتت فشلها و قاموا بتطبيقها بنفس الأخطاء.

- المعيار الثالث :العلاقة بالفضاء الحضري:

النظام العمراني الذي يكوُن النسيج التقليدي لمدينة قسنطينة يتميز بمجموعة من المباني المتواصلة والمتجانسة تاركة فراغات داخلية (البهو). و من مميزات الفضاء العمراني القديم أيضا انه يضع حدودا للفصل بين الداخل والخارج، و بين العام و الخاص عن طريق شبكة شوارع و أزقة تنتظم في تدرج سلمي من العام إلي الخاص وتسلسل عضوي مكونا كتلة عمرانية متجانسة ومنسجمة.
فمن المنطقة العامة (منطقة السوق و المنطقة الخاصة بالمسجد الكبير) تتفرع شوارع رئيسية تصل إلي المناطق السكنية وهي منطقة نصف عامة و منها تتفرع الطرقات والأزقة الضيقة التي تصل إلي الزقاق المسدود ومنه إلى أبواب المنازل التي تكون المنطقة الخاصة. (شكل5)
يقول "Mongin.Olivier" أن المدينة هي تلك القدرة على وضع هذه الحدود، على الفصل بين الداخل و الخارج و بين العام و الخاص.و يضيف أن الفضاء الحديث قد يخلق هذه الاختلافات لكنها غير مُنَظَّمة وبدون مبادئ وبدون حدود، مما يجعل الفضاء عاجزا عن التفاعل مع مُسْتَخْدِميه.[10]

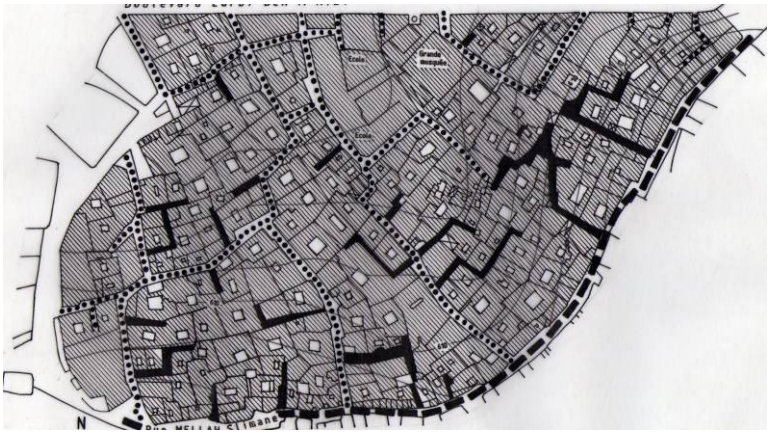

خاص(الزقاق المسدود) نصف عام عام(الشارع الرئيسي)
الشكل5 : التدرج السلمي للفضاء التقليدي

المصدر : المؤلف
إن دراستنا الميدانية لحي "بوصوف" بقسنطينة تعكس هذا المضمون حيث لا نرى تركيبة واضحة للحي، لأن هذه الأخيرة لا ترتكز على أسس تنظيمية معينة؛ فقد خلفت مباني متناثرة دون أي تنسيق فيما بينها، إذ لا توجد أساسا عناصر التنسيق من أزقة و شوارع متدرجة من العام إلي الخاص (شكل6). كما أهمل مخطط هذه الأحياء تصميم الفراغات العامة و التنسيق بينها ولم يراعوا التدرج والتنوع في أشكال هذه الفراغات طبقا لوضيفة كل منها و من جهة أخرى فإن الحي تنقصه التجهيزات اللازمة (من سوق و مرافق عامة و غيرها) للقيام بدوره، و إن وجد البعض منها فهي غير منظمة.
إن الظواهر التي صاحبت المجتمع الصناعي الجديد قد قلبت رأسا على عقب طبيعة الحياة في المدن ببنائها لمساكن تحت الطلب، بالتالي أصبح الأمر يتعلق بالتخطيط لمجمعات سكنيّة وليس التخطيط لمدينة بأكملها، حتى أصبحت المدينة عبارة عن تركيب مجموعة من شظايا سكانية محاذية لبعضها البعض. [11]

الشكل6 : عمران حديث متناثر و فراغات غير محددة
المصدر: URBACO

4- المعيارالرابع: العلاقة بالمناخ

إن التّكيف مع المناخ في وقتنا الحالي يشكّل أحد المجالات الدراسية البارزة في ميدان البحث العمراني حيث أن للمناخ تأثير كبير علي البنايات و أشكالها و بالتالي علي راحة السكان ويؤكد Amos rappoport أن هناك علاقة قويّة تبادليّة بين الإنسان و المحيط العمراني و المناخ.[12]
إضافة على تكيفها مع المواقع التي تحتلها، فإن المدن القديمة استطاعت عبر الأزمنة أن تتلاءم أيضا مع المناخ وذالك بخلق تركيبة عمرانية متلاحمة وعناصر معمارية استطاعت من خلالها أن تتغلب على أكثر المناخات حرارة، بعكس العمران الحديث الذي من خلال تركيبته العمرانية المتباعدة و المتفرقة ومواد البناء الغير عازلة، لم يستطيع الحفاظ على الطاقة داخل المباني مما أدي إلى استهلاك طاقة أكبر لتوفير الراحة داخل هذه المباني.
يتميز النسيج العمراني لمدينة قسنطينة القديمة بتلاحم وتسلسل بناياته وهذا يتلاءم و طبيعة مناخها الجاف، ولقد بيّن الباحث "David Wright" أن التلاحم بين المباني يقلّص المساحات الجد رانية المعرّضة لأشعة الشمس المباشرة صيفا و برودة الجو الخارجي شتاءا، وبالتالي يحافظ على الفراغات الداخلية باردة في الصيف و دافئة في الشتاء.[13] و قد أدى التلاحم العضوي للمدينة القديمة إلى تلطيف جوها؛ حيث أعطى حماية للمارّة من لهيب الشمس المحرقة و وفر الظل المطلوب عبر استخدام الطرقات الضّيّقة و الملتوية و النّتوءات الأفقية.[14] إن هذه العناصر المعمارية لها التأثير الكبير في المساعدة على تلطيف الجو داخل المبنى، حيث تخلق النّتوءات الأفقية (قبو بارز في الطابق الأول) مساحات مضللة على الجذران الخارجية المطلة على الشارع فتزيد من كفاءة العزل الحراري للجدران و بالتالي تقي المساحات الداخلية للمباني من الحرارة المرتفعة في الصيف و البرودة في الشتاء. ويعتبر الزقاق المغطى (المعروف بالصباط) (شكل7) عنصرا من عناصر تلطيف الجو داخل المدينة القديمة؛ حيث تكون حرارة الأرضية لهذه الأزقة منخفضة مقارنة مع الطرقات المفتوحة، كما شكلت السقيفة بممرها المنعرج على عزل المباني عن الحرارة و الغبار و الرياح . و من جهة أخرى فقد استطاعت هذه العناصر المعمارية أن توازن بين متطلبات البيئة المناخية و الحاجات الاجتماعية والثقافية للإنسان العربي كالخصوصية (intimité).
كما أثبتت بعض الدراسات [15] أن تسربات الهواء في فصل الصيف تكون هامة في الأحياء الحضرية المتراصة والمتلاحمة؛ حيث تتعلق حركة الهواء بصورة أساسية باتجاه الطرقات بالنسبة للرياح المهيمنة، وقد تسهل أيضا طبيعة المكان المنحدر هذه العملية .

الشكل7 : خلق أماكن مظللة عن طريق استخدام الزقاق المغطى
المصدر:www.constantine.free.fr

إن تركيبة البناء في تنظيمها الفضائي المتوجه نحو الداخل ومفهومها المتماسك يلعبان دورا في تحسين المناخ و خلق مناخ مصغر وذلك عن طريق خلق أماكن مُظَلّلة وبالتالي تلطيف الجو،

وعلى العكس من ذلك فإنّ أوّل نتيجة لتنظيم النسيج الحديث هي تعريض الفضاءات دوريا لكل أنواع مشاكل الحرارة المتزايدة وسوء التكييف الذي يجعل الحياة داخل وخارج السكنات الجماعية غير ملائمة، وتخلق الطرقات الواسعة ومواقف السيارات الكثيرة والمز فتة حسب ما يؤكده أغلب السكان(1) جوا حارا في الصيف و رياحا باردة في الشتاء .
كذلك فإن موقع العمارات و تركيبتها لا يخضع للقواعد المناخية الخاصة بالشمس والاحتماء منها إذْ انه تم إنشاء البنايات في اتجاهات غير مدروسة كانت سببا في حجب الشمس عن العمارات المجاورة و لأنهم لم يراعوا أيضا المسافة اللازمة بين المباني و التي تتمثل في:L> H (الشكل8)

الشكل8 :عدم احترام المسافة اللازمة بين المباني يمنع من وصول الشمس

المصدر: المؤلف

5

- المعيارالخامس: العلاقة بالخصوصية الاجتماعية :

تعتبر الدراسات الاجتماعية من ضمن الدراسات الأولية لتنفيذ أي مشروع خاصة المشاريع السكنية؛ لأن أي مجتمع يسعى من خلال الفضاءات التي يستعملها إلى تلبية حاجاته و متطلباته، كما تساعد هذه الدراسات في اتخاذ قرارات سلطة محلية مهيمنة.
و تؤكد العلاقة بين السكان و المحيط العمراني أهمية هذه الدراسات لأن المحيط العمراني من صنع الإنسان بكل ما يتضمنه من تنظيمات وأشكال وعلاقات تعكس حياة ساكنيها بما تحتويه من قيم و عادات و تقاليد و مفاهيم.
و بما أن لكل مجتمع خصوصيته الاجتماعية التي تميزه عن باقي المجتمعات الأخرى فإن ذلك يؤدي إلى اختلاف متطلبات هذه الخصوصية، و بالتالي تؤدي العادات و التقاليد و القيم السائدة دورها الرئيسي في خلق الفرو قات التي لا غنى لأي معماري عن معرفتها، و ذلك لإنتاج عمران متلائم و منسجم مع المجتمع الذي يخدمه. لقد لعبت الخصوصية الاجتماعية دورا واضحا في تشكيل الفضاءات ومفردات البيت التقليدي؛ و بالتالي البيئة التقليدية، لأنها كانت تمثل التجسيد الحي للأفكار و العقيدة و الحاجات الاجتماعية للفرد و الأسرة و من ثَمَّ المجتمع ككلّ فكانت البيئة التقليدية تعمل بكفاءة اجتماعية أعلى بكثير من البيئة العمرانية الحاضرة[16].
ذلك أن المناطق السكنية للمدينة التقليدية ببناياتها المتراصة و طرقاتها المتسلسلة هي مناطق صغيرة نسبيا تحتوي مجتمعا متجانسا تربط أعضاءه علاقات دينية و أعراف اجتماعية خاصة يسودها الأمن والتكافل بين أفراد المجتمع الواحد و حسن الجوار، كذلك فإن الطرقات الضيقة تخلق حركة مرور قليلة تؤكد خصوصية الحياة العائلية ، أما الطرقات الواسعة و الفضاءات العامة
المحاذية للسوق و المسجد فهي تخلق جوا اجتماعيا عاما، على عكس من ذلك فإن المدينة الحديثة ببناياتها الضخمة والمتفرقة و طرقاتها المتقاطعة، تخلق جوا من التفكك في العلاقات الاجتماعية بين أفراد الحي الواحد وانعدام الأمن حتى ضمن العمارة الواحدة.
إن المدن المعاصرة تشهد فصلا واضحا بين التنظيم الاجتماعي والتنظيم الفضائي، ويرجع ذلك أن الدراسات الاجتماعية الحالية غير قادرة على تقديم حلول عملية تسمح بتحسين الأوضاع، ووضع تصاميم تتلاءم و عادات المجتمع و تقاليده.

6-المعيارالخامس: العلاقة بالثقافية:

إن الخصوصية الاجتماعية المدروسة أعلاه ناتجة عن ثقافة المجتمع التي تملي عليه مجموعة من الممارسات التي تتجسد في شكل البنايات و تنظيمها و يتضح هذا من خلال تعريف (HenryRaymond) للثقافة (modèle culturel) هي ممارسات لمجموعة من السكان يشتركون في مجموعة من القيم و الرموز التي تنتقل عبر الأجيال، وهذه الرموز و الممارسات تخلق نظاما من القواعد و الأعراف التي تحدد أسلوب حياة السكان و أشكال البنايات و تنظّمها حسب نظام معين أي من العام إلى الخاص، وأن هناك علاقة تبادلية بين أشكال و تنظيم البنايات و ثقافة الشعوب [17]، ومثال ذلك ما نراه في أشكال البنايات من تأمين خصوصية (intimité) الأفراد و البنايات، عن طريق عناصر معمارية كالسقيفة ذات الممر المتعرج و النوافذ المتجهة نحو الداخل و القبو، التي تمليها ثقافة المجتمع.
ولقد بين تحليلنا لمخطط النسيج الحضري لمدينة قسنطينة هذه العلاقة؛ حيث أن ثقافة المسلم المرتبطة بالخصوصية مجسدة في التركيبة المعمارية، فنجد نوعين من أشكال ممارسة الفضاء في المدينة القديمة:

- منطقة مركزية للسوق مخصصة للتجارة و الحياة الثقافية "سوق التجار" (شكل9) هذه المنطقة حسب تحليل "Bernard Pagand" تتواجد فيها مجموعة متتالية من الدكاكين تتجمّع حسب اختصاصات أصحابها: حرفيّين وتجّار، وتنتظم هذه الدكاكين حول المسجد الجامع معطية بذلك صورة تجمع بين المادة والروح و من ذلك نستنتج أن الأحياء العربية القديمة تستند إلى مبادئ مُسْتَلهمَة من الدّيانة الإسلاميّة.[18]
- ومنطقة ثانية مُخصَّصة للسكن بها كل مرافق الحياة اليومية و بعيدة كل البعد عن السوق التجارية العامة.

وتنتظم هذه المنطقة السكنية حول الطرق الضيقة و الممرات المسدودة التي تجعلها أكثر خصوصية.

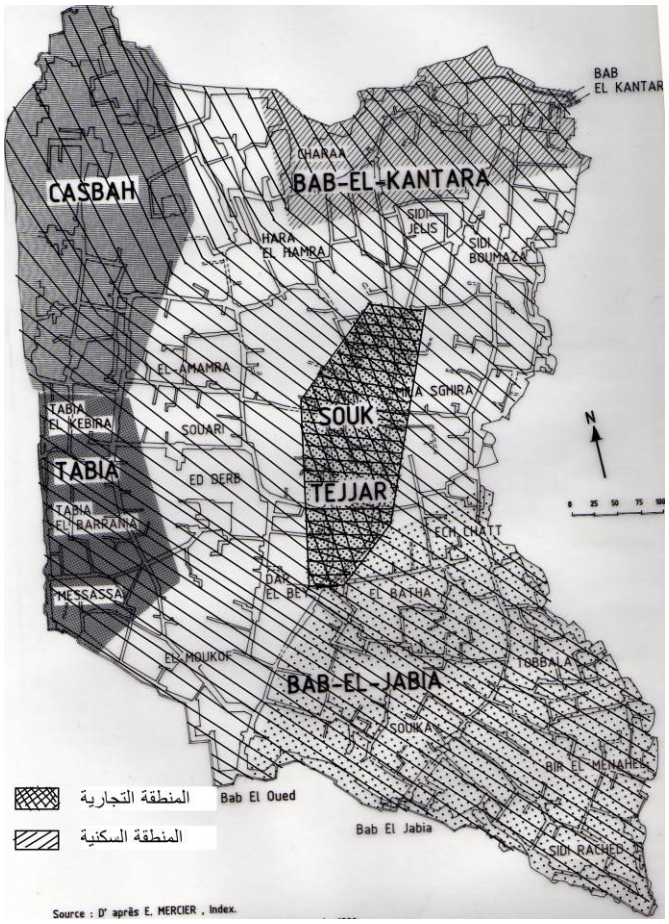

الشكل9 : الفصل بين المنطقة التجارية و المنطقة السكنية ي المدينة القديمة

المصدر: عن طريق E.Mercier .Index
Bernard Pagand1989

إن هذه الاختلافات النوعية تبين أن هناك قصد في إبعاد منطقة السوق العامة عن منطقة السكن التي تتعلق بالمجال الخاص للنسيج العمراني، إن هذا التقسيم المتدرج (منطقة تجارية، منطقة سكنية) ليس مجرد صدفة، بل يتعلق بالمبادئ الثقافية للمجتمع المسلم.

إن التناقض الموجود بين الفضاء الخاص بالمنطقة التجارية والفضاء الخاص بالممرات المسدودة هو واحد من التناقضات المناسبة لنسيج السكن العربي الإسلامي، والهدف من ذلك هو جعل الميدان الخاص بالسكن أكثر خصوصية وذلك بإبعاد المنزل عن الفضاء العام قدر الإمكان.و قد اتخذت تدابير خاصة للمناطق السكنية المجاورة للسوق مباشرة لحماية خصوصية الحياة العائلية وذلك بجعل الباب الرئيسي للمسكن بعيدا عن السوق و يفتح على ممر مسدود يفصل بين الشارع و الفناء الداخلي.

ولكن في عصرنا هذا فإن الفضاءات الوسيطة تختفي بين الخاص و العام و الجماعي و الفردي و كذلك فإنّ الهندسة المعمارية تتهيأ لتكون عالمية، نفس النمط الهندسي لكل العالم ونفس المخطّط لكل البلدان، وحتى في البلاد نفسها فان كل العمارات متشابهة ولو كانت وظائفها مختلفة؛ حيث "امتازت مخططات هذه المدن بالإسراف في التعميم عند معالجة أشكال البنايات و بذلك أهملت الأصول الثقافية و المواقع الجغرافية. ولن تكون المدينة مستدامة إلا إذا استمدت أشكالها التعميرية من هوية ثقافيّة قويّة" [19]، إن استمرارية الثقافة هي تمثيل عمراني لنمط معيشة السكان و بالتالي فإن الإبداع الهندسي لعصر من العصور يعبر عن انتماء الشعب لثقافة معينة.

7- المعيار السابع: العلاقة بمقياس الإنسان:

لكي نفهم هذا المعيار لابد من الرجوع إلى ما كان يُعْتمد قديما في التركيبة المعمارية، حيث أنهم كانوا يستعملون لقياس المساحات مراجع إنسانية؛ فمنذ ما يقرب من خمسة ألاف سنة كان الرومان يستخدمون القدم كأداة لقياس الأطوال و المساحات الكبيرة والأصبع لقياس المساحات الصغيرة (القدم=16أصبع)، فكانت بناياتهم ذات أبعاد متناسقة و مناسبة للاستعمال . وقد تم استخدام الذراع كأداة للقياس من قبل المصريون القدماء (الذراع=24أصبع=1,5 قدم=45سم). كما استعمل الفرنسيون في القرون الوسطى هذا المقياس (الذراع) في بنايتهم، نذكر كمثال كنيستي Saint Pierre , Saint Paul في Bourgogne. ولا تزال أداة القياس (القدم) مستعملة عند الإنجليز إلى وقتنا الحاضر.و لقد لجأ المسلمون أيضا لهذا المقياس لبناء عمارتهم، فكانوا يستخدمون الذراع لقياس المساحات. فكانت كل هذه المراجع إنسانية و لهذا كان هناك تلاءم و انسجام بين البنايات القديمة والإنسان من حيث الاستعمال و القيمة الجمالية للمبنى.

تبنى الفكر الفلسفي الإسلامي مفهوما واضحا عن المقياس الذي ينبغي أن يتخذه تشكيل النسيج الحضري وهذا منذ تأسيس الدولة الإسلامية؛ حيث أشار الخليفة عمر بن الخطاب إلى ضرورة الأخذ بالمقياس المناسب و ذلك بحثّ الناس على عدم رفع البنيان فوق القدر، والقدر هو ما لا يبلغ الإسراف و لا يخرج عن القصد[20]، لأن العمارة المناسبة للمقياس الإنساني هي تلك العمارة التي تكون أبعادها متناسقة من جهة، ومناسبة للبيئة الطبيعية وللإنسان من جهة أخرى.

إن العمران في المدينة القديمة مجرد من كل ما يوحي بالفخامة، ذالك أن الاختيار الهندسي يرتكز على ما يلبي الحاجات الضرورية للإنسان و على انشغالاتهم

اليومية. و يمكن وصف هذا التصور للمقياس البشرى في المدينة القديمة بالطريقة التالية: فمن الوهلة الأولى يمكن أن نلمح كل المحيط و ذلك بتصفح العناصر الأساسية المعروفة، وترجع هذه القراءة السريعة للمحيط إلى وجود نقاط مرجعية متعارف عليها. إن تقدير المقياس البشري يكون سهلا إذا وجدنا في مجموع الفضاء العمراني عناصر تدل على الحياة اليومية للإنسان ونشاطاته.

إن تزايد السكان وعدم التحكم في تطور المدن أدى إلى خلق تركيبة عمرانية ضخمة لا تتناسب والمقياس الإنساني، فانتقلنا لقياس المساحات وتحديد حجم المدن، من مقياس إنساني يعكس متطلبات الفرد والمجتمع إلى"مقياس اقتصادي"[21] يعكس مرد ودية المشروع. وقد أدى هذا الانتقال إلى الفصل بين الإنسان ومحيطه؛ حيث أصبح هذا الأخير يشكل عنصرا غريبا لا يتلاءم و الحاجات النفسية للإنسان.

و في الأخير نقول أن أحياء السكن التقليدي هي على مقياس الإنسان حيث أن كل واحد يعرف جيرانه، فإذا جاء ساكن جديد فلن يشعر بالغربة; لأنه عندما يريد السكن فسوف يختار حيا فيه أقرباءه أو أصدقاءه أو جيرانه القدامى مما يخلق غياب الشعور بالاختلاف، الموجود في الأحياء الجديدة.

8- المعيار الثامن:العلاقة بالاستثناء

إن فلسفة الإسلام الفكرية لا تتعارض بشكل مطلق مع مفهوم المقياس الصرحي (الاستثنائي) بل يقترن ذلك بالمعنى أو بتعبير أدق يقتصر استعمال المقياس الصرحي على نوع محدد من الأبنية و لا نعممه كمفهوم تشكيلي؛ إذ يتم اللجوء لهذا المقياس لإضفاء التعظيم كما في المساجد مقارنة مع باقي تشكيلات النسيج الحضري.[22]

كان المسجد في المدينة القديمة ينظم الشبكة العمرانية للمدينة و يخلق نقطة استقطاب ومرجعية في قراءة الفضاء العمراني؛ حيث أنه لا يملك نفس الاعتبارات المطبقة على المباني العادية لأنه مرتبط بالعقيدة. و نظرا لخصوصيته الاستثنائية فإنّ هذا المبنى يعبر باحتلاله لمساحة كبيرة وعلو مهيمن عن تركيبة مميزة لأن مقياسه متعلق بجماعة من البشر وليس بفرد من الأفراد. و من مميزات المعلم الحضاري أيضا أنه يمثل قيمة مشتركة بين أفراد المجتمع لأنه دال على هويتهم المعمارية و الثقافية. و لذلك يجب أن يتميز المعلم عن البنايات الأخرى، لأن هذا التميز هو الذي يمنحه الاستثناء، فحسب Bernard Huet فإن المَعْلَم يجب أن يتميّز عن السّكن لأنه في الوقت الراهن و في المدينة العصرية يميل المخططون إلى جعل السكن مَعْلَمًا حتى أنّنا لم نعد نفرّق بينه وبيْن المَعْلَم التّاريخي.[23]

يقول Christian Portzamparc أن المعالم الحضارية في القديم كانت تتميز عن بقيّة البنايات بـ:

1. نافسة موادّ البناء.
2. تميز هندستها المعمارية.
3. ضخامة البناء.

و يضيف Christian Portzamparc أن هذه المعالم تعبر عن مقياس ذي قيمة حتى بين المنشآت الأخرى [23]. ففي يوغوسلافيا و بالتحديد في المدينة القديمة Dubrovinique مُنِع السكان من التزيين المبالغ فيه لواجهات البنايات العادية،و اقْتُصِر الأمر على القصور و المباني العامة.

9- المعيار التاسع: العلاقة بالتنسيق والجمال:

إن الإنسان بطبيعته الفطرية يميل إلى الجمال، فيسعد و يرتاح و يأنس بمشاهدة منظر يوحي بالتوافق و التناسق و الانسجام ولهذا كان الاهتمام بالتنسيق والجمال داخل النسيج العمراني منذ القدم. ففي العصر الروماني اهتم هؤلاء كثيرا بهذا الجانب؛ حيث اعتمدوا في بناء مدنهم على مبادئ سمحت بخلق علاقة وطيدة بين العناصر المكونة للنسيج العمراني مما أدى إلى خلق تشكيلة عمرانية منسجمة ، و تتمثل هذه المبادئ في :

- التنظيم : l'ordre :و هو تنظيم العناصر المكونة للمبنى أو النسيج العمراني عن طريق قواعد هندسية معينة
- الوحدة : l'unité: تظهر عناصر العمارة تشكيلة تنتظم فيما بينها مكونة كتلة واحدة منسجمة
- التناسب : la proportion : هي عملية تناسب الأبعاد من (طول و عرض و ارتفاع) فيما بينها
- الانسجام : l'harmonie : هو الانسجام بين العناصر المعمارية و العمرانية عن طريق مجموعة من القواعد نذكر منها: التناظر- التناقض-التوازن إلخ...

لقد شهدت الحضارة العربية الإسلامية هذا الجانب أيضا من التنسيق و الجمال في مدنها القديمة حيث امتازت مناظرها بالتنوع و الحيوية و يرجع ذلك إلى التركيبة العمرانية للمباني غير المصطفة و الطرقات الملتوية مما أدى إلى التنوع و"تغير المشاهد المتتالية في الزقاق الواحد و ضمن الكل الذي يضفي عليه وحدة تنوعية يدركها الإنسان في كل خطوة يخطوها، فتبعث في النفس إحساسا يقرب المسافات مكانيا و زمنيا، و هو ما أكسب النسيج الحضري خصوصية متفردة كونه يظهر عنصر المفاجأة البصرية و الحسية."[24]

وفي هذا السياق، يقول Desablet.M إن التنوع في المدن القديمة لا مثيل له حيث نجد طرقا و سلالم ملتوية، وممرات ضيقة تتقاطع مع طرق أكثر سعة ، و طرقا غير منتظمة و مع ذلك نشعر بوحدة المكان. و يقول أن المدن القديمة تمثل معجزة لا مثيل لها في الحاضر، على عكس التعمير الحالي ذي النمط الموحد. ويضيف موضحا انه لا يعود جمال المدن التقليدية إلى شكل بناياتها و لا إلي أشكال أبوابها أو نوافذها بل يعود إلى نمط التنظيم المرتبط بالاستعمال، فهذا ما يعطي سحرا و جمالا للمكان. و في الأخير يتساءل الكاتب لماذا اختفى كل هذا من المدن الحديثة؟ و لماذا أهمل المخططون هذه الدروس؟[11]

إن هذا التنوع و الحيوية اعتمد في التخطيط العمراني للمدن حتى القرن التاسع عشر ولكن التعمير في الآونة الأخيرة أعطى مدنا ينقصها التنسيق بين عناصرها لأنها اعتمدت في تركيبتها على الكم على حساب النوع فضيعت بذلك كل المبادئ التي تدعو إلى التناسب والانسجام فيما بينها.

ولكي نستعيد هذه المبادئ يلزمنا أن نعود إلى القيم الجمالية التي اعتمدتها المدينة القديمة من تنوع و جمال و وحدة المكان، لأن المشروع العمراني لايقتصر علي جعل الطرقات واسعة سهلة الانسياب و لا على جعل الفراغات العامة كبيرة فحسب بل يجب إدخال عنصر الجمال و التنسيق عن طريق استخدام اللوحات و المشاهد المتتابعة والمتنوعة ضمن الزقاق الواحد والتدرج و التنوع في المساحات العامة حتى نقضي على الرتابة و الملل الذي نلاحظه في الأحياء الحديثة عند التنقل.

10- المعيار العاشر: العلاقة بالاستدامة

يمكننا أن نعرف المدينة المستدامة بثلاثة أوجه:

1. هي مدينة قادرة على البقاء عبر الزمن، و على الحفاظ على هويتها، ولها معنى جماعي، وحيوي على المدى الطويل. و حتى تضمن ذلك فهي بحاجة إلى ماضيها و ذكرياتها و تراثها، و تنوعها الثقافي.
2. هي مدينة توفر ظروفا مريحة لسكّانها.
3. هي مدينة تتبنى مشروعا سياسيا و اجتماعيا يتمثل في تقليص الفرو قات الاجتماعية و التدهور البيئي[25]

ومنه نستنتج أنه لا يمكن إنجاز مشروع المدينة المستدامة بعيدا عن محيطها؛ لأن المدينة تستمد بقاءها من تاريخها و تلاحم أجيالها واستمرارية ثقافتها، وأن تطور المدينة متعلق بمدى ارتباطها بماضيها الفضائي و التراثي وموقعها الجغرافي. إن الاستدامة بمفهومها التاريخي لا تعني الركود بقدر ما تعني التحدي والإبداع ، و يبدو هذا وضحا في المدن القديمة التي استطاعت عبر العصور أن تحافظ على طابعها المعماري والعمراني وأن تصل إلينا رغم بعض المشاكل التي واجهتها وتواجهها، لكونها حضارة عمرانية قوية ومستدامة (شكل10) ، و ذلك راجع إلي قدرتها على التلاؤم مع تقاليد المجتمع و التكيف مع المناخ و البيئة، وكذلك قدرتها على التحدي والإبداع و التجديد؛ فقد تبنى النسيج العمراني القديم وظائف عمرانية جديدة وسمح بتوظيف بعض المباني القديمة لاستعمالات جديدة وهذا يترجم قابلية البناية القديمة للاستمرار.

بالمقابل هل يمكننا أن نتأكد من استدامة العمران الحديث؟

إن النسيج العمراني الحديث قد ضيع أغلب عوامل الاستدامة، وهذا لأن المخطط العمراني غير متكيف مع الوسط الطبيعي والاجتماعي والثقافي للمنطقة. وقد أثبتت دراستنا لحي بوصوف هذا المضمون حيث أن النسيج العمراني الذي يشكل بنايات متباعدة غير متلائم مع المناخ الجاف الذي يتطلب بنيانا متراصا.

كذلك فإن أشكال البنايات لا تنسجم مع طبوغرافية الموقع و مورفلوجية المكان، ناهيك عن عدم احترام تقاليد و عادات المجتمع سواء داخل أو خارج المسكن من حيث الخصوصية والأداء الوظيفي و القيمة الرمزية و الجمالية للمسكن.

وفي الأخير نقول أنه حتى تكون المدينة مستدامة يجب أن تتبنى مشروعا يحتوي على كل المعايير المدروسة ضمن هذا البحث.

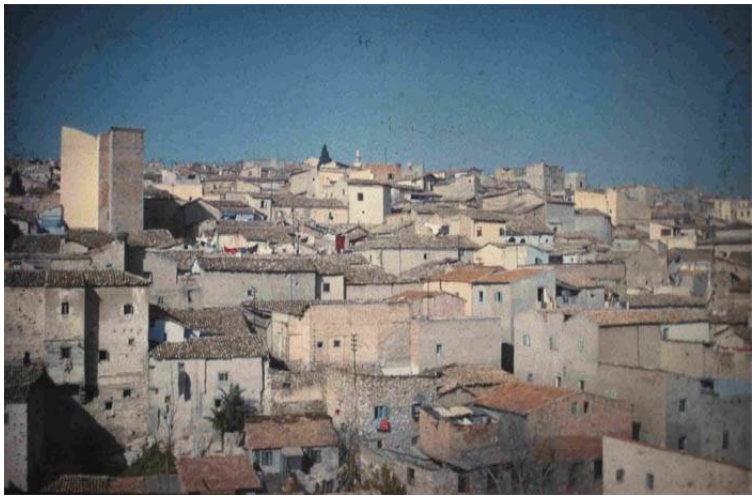

الشكل10 : حضارة عمرانية قوية ومستدامة(مدينة قسنطينة القديمة)

المصدر: www.constantine.free.fr

II.أفكار قديمة وإنجازات جديدة :

•تركيبة وتجميع الوحدات السكنية :

إن أهم مشكلة تواجه المهندسين في تصميم النسيج الحديث هو في تجميع المنازل وتنظيم القطع الأرضية. لإيجاد حل لهذه المشكلة لجأ هؤلاء إلى الأفكار القديمة والمتمثلة في النسيج العمراني التقليدي خاصة فيما يخص تماسك واستمرارية النسيج.

•نظام الطرق في الأحياء :

يرى بعض المهندسين في نظام الطرق التقليدية العربية مثالا نموذجيا مكيفا مع النسيج الحضري المعاصر (كاستعمال الزقاف المغطى)، وبهذا فإن طرق المشاة في النسيج العمراني الحديث ليست من اختراع العصر، ولكنها تقليد للمرات التقليدية. وفي هذا السياق، يقدم الكاتب Arnold.F [9] في كتابه " Le logement collectif " أمثلة لمخططات عمرانية أقيمت في أحياء شعبية بفرنسا واختاروا في تخطيط النسيج العمراني لهذه الأحياء هيكلة للطرق الداخلية الخاصة بالسكن، طرق مستلهمة من الأزقة الضيقة و الأزقة المغطاة التقليدية،لأنهم رأوا أن هذا يتلاءم و خصوصية المسكن.

كما عاد بعض المهندسين المعماريين في فرنسا إلى التخطيط العمراني القديم الذي يعتمد على الشارع كأداة أساسية لتشكيل الفضاء العمراني؛ فمثلا في مدينة Reins و بالتحديد في حي Châtillon أعطى المهندس دورا فعالا للشارع حيث جعل

البنايات متلاحمة وأسفلها سلسلة من المحلات التجارية أطفت على الشارع جوّا خاصا.

وفي مدينة Saint - Etienne و بالتحديد Beaulieu بفرنسا تمّ إنشاء شارع حقيقي داخل الحي بشكل ملتوي كما في الشوارع القديمة، و بفضل شكله و البنايات التي تحده من الجانبين يبدوا الطريق شبه مغلق و هذا الطريق مزين بحواجز نباتية تفصل بين الأرصفة والبنايات.[26]

●التدرج من العام إلى الخاص :

نظام طرقات السيارات هي من مستجدات العصر ولكن استعمالها مستلهم من المدن القديمة فيما يخص التدرج من العام إلى الخاص، فقد رأى المهندسون أنه من الضروري إبعاد حركة المواصلات عن الحي السكني بقدر الإمكان، لأن هذا الإبعاد يسعى إلى استمرارية النسيج وخصوصية السكن.

●إعطاء مميزات خاصة للمباني الجماعية:

نظرا للملل الذي يحدثه تشابه واجهات البنايات الجماعية وتكرار طوابقها، فإن المهندسين المعماريين عادوا إلى الأفكار القديمة التي تتعلق بإعطاء مميزات خاصة لكل مبنى حتى يشعر الساكن أنه يعيش في منزل خاصا به ولا يشبه المنازل الأخرى، ففي مدينة Seattle جعل المعماريون في العمارة الواحدة واجهات مختلفة خاصة بكل شقة وهذا حتى يحققوا نوعا من الرغبات الفردية في البنايات الجماعية، وذالك عن طريق جعل الشقق تارة متراكبة وأخرى متفرقة كما نراه في (الشكل11)

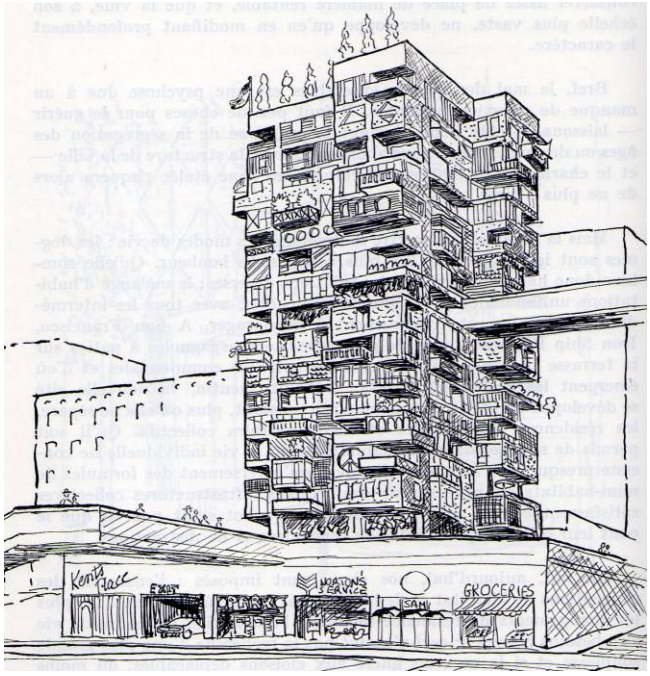

الشكل11 خصوصية واجهات البنايات الجماعية

المصدر: Piganiol, P. *Du nid à la cité*1970

●**توجيه المباني للداخل و استعمال المشربيات:**

مبنى السفارة الأمريكية في بغداد-العراق- : صمم هذا المشروع المهندس الاسباني "Jose L.Sert" عام 1995. ويتضمن المشروع إلي جانب مبنى السفارة على مساكن للموظفين و مجموع من المباني الخدمات والصيانة و سكن السفير هذا إلى جانب بعض الخدمات الرياضية للموظفين. ومن أهم الأفكار المتبعة في هذا المشروع ما يلي:

1.استخدام الأفنية الداخلية:(التوجه للداخل)

استخدم المصمم الأفنية الداخلية والتوجيه للداخل في المباني الأساسية من المجموعة المعمارية، ثم قام بوضع زرع و بساط اخضر من نخيل و نافورة داخل تلك الأفنية، كان ذالك له أثره في تحقيق المناخ المثالي للعاملين بالسفارة و أفراد عائلتهم وساعد كدالك على تلطيف درجة حرارة الأفنية.

2.استخدام البروزات و المشربيات:(حماية المبنى من أشعة الشمس)

استعمل المصمم في هذا المشروع كاسرات الشمس علي نمط المشربيات مما يساعد على حماية الفراغات الداخلية من مضاعفات الطاقة الحرارية المرتفعة بالخارج والتقليل من الضغط على أجهزة التكييف الصناعية.[27]

نتائج وتوصيات:

تناول البحث موضوعا هاما ارتبط بطبيعة الممارسة العمرانية بين الماضي و الحاضر، وقد تمَ التركيز على المعايير الأساسية التي يقوم عليها أي مشروع عمراني (Projet urbain). و لقد لاحظنا ما يفيض به العمران القديم من عناصر موائمة، لذا يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار هذه العناصر و نطوّر استعمالاتها بما يلاءم متطلبات العصر. و من نتائج هذا البحث نجد ما يلي:

●للموقع دور هام في المخطط العمراني" Projet urbain" لأنه يحدد الشكل العام للمدينة أو الحي ويعطي للبنايات وضعية مميزة، كما يساعد على وضع النقاط المرجعية و اختيار المراكز العمرانية و علاقتها ببعضها. إن عدم احترام الموقع شكله و مميزاته يعطي تعمير فوضوي ويفسد الانسجام الطبيعي للمحيط.

- أصبح المخطط العمراني الحالي يتعلق بالتخطيط لمَجمعات سكنيّة وليس التخطيط لمدينة بأكملها، حتى أصبحت المدينة عبارة عن تركيب مجموعة من شظايا سكانية محاذية لبعضها البعض.
- أثبتت هذه الدراسة أن العودة إلى الشارع كوحدة أساسية لتنظيم الفضاء العمراني أمر مهم و حتمي لأن من مميزاته انه يفصل بين الداخل والخارج، و بين العام و الخاص عن طريق شبكة من شوارع و أزقة تنتظم في تدرج سلمي من العام إلي الخاص وتسلسل عضوي مكونا كتلة عمرانية متجانسة ومنسجمة. في حين عجز

العمران الحديث على خلق هذه الاختلافات و التفاعل مع مُسْتَخْدِميه.

- ضرورة إدخال دراسات اجتماعية عميقة و جدية في التخطيط العمراني لأنها تسمح بتحليل أفضل للفضاءات التي يجب تحسينها كما تسمح أيضا بمعرفة أفضل لردود أفعال السكان اتجاه الأحياء التي سيقيمون فيها.
- يجب أن يكون مقياس الفضاء العمراني إنساني حتى تكون أحجام البنايات ملائمة لغرض استعمالها؛ لأن تقدير المقياس الإنساني يكون سهلا إذا وجدنا في مجموع الفضاء العمراني عناصر تدل على الحياة اليومية للإنسان ونشاطاته .
- إن تركيبة البناء في تنظيمها الفضائي المتوجه نحو الداخل ومفهومها المتماسك يلعبان دورا في تحسين المناخ و خلق مناخ مصغر وذلك عن طريق خلق أماكن مُظَلّلة وبالتالي تلطيف الجو.
- ما يلزمنا في الوقت الحاضر هو العودة إلى القيم الجمالية التي اعتمدتها المدينة القديمة من تنوع و جمال و وحدة المكان لأن المشروع العمراني لايقتصر علي جعل الطرقات واسعة سهلة الانسياب و لا على جعل الفراغات العامة كبيرة فحسب بل يجب إدخال عنصر الجمال و التنسيق عن طريق استخدام اللوحات و المشاهد المتتابعة والمتنوعة ضمن الزقاق الواحد والتدرج و التنوع في المساحات العامة حتى نقضي على الرتابة و الملل الذي نلاحظه في الأحياء الحديثة عند التنقل،
- إن فكرة تخطيط المدينة تحتاج إلى العودة لماضيها الفضائي و التراثي و ذلك يستلزم البحث في الآثار المستدامة التي خلفتها الأجيال.
- في الأخير نقول إننا لا ندعو بالضرورة إلى إعطاء قيمة لكل ما هو قديم ولكن:

1.الإحاطة بالعناصر المرجعية للمدينة و تطبيقها في المشروع الحضري حتى نضمن إدماجه في المنطقة العمرانية.

2.كما يجب أن ندمج فيه العناصر التي تحمل قيم رمزية حتى نعطي للمدينة مميزاتها الخاصة وخصوصيتها المجسدة في التركيبة العمرانية و أشكال البنايات و ننظّمها حسب نظام معين.

الخاتمة:

من خلال ما سبق ذكره في هذه الدراسة التحليلية حول طرق و أشكال استعمال الفضاء بين الماضي و الحاضر وعلاقته بالتطور العمراني، يتبين جليا أن طرق وأشكال التعمير الحديث في بلادنا تفتقر إلي استراتجيات و آليات و نظم و قواعد تحدد دور كل عنصر من عناصر الفضاء المعماري والعمراني و علاقته بالمعايير الاجتماعية والثقافية و الطبيعية للمنطقة العمرانية.

إن المعايير المدروسة في هذا البحث تستحق دراسة خاصة ومعمقة، لأنها معايير أساسية أثبتت جدارتها في الماضي وصلاحيتها في الحاضر، و لذلك يجب دراستها قبل تنفيذ أي مشروع و جعلها ضمن دراسة أولية.

فإذا أخدنا بعين الاعتبار هذه المعايير نكون قد أحسنا استعمال التكنولوجيا، واستطعنا السيطرة عليها و تسييرها حسب المواصفات التي وضعناها لها.

إن مشكلة العمران الحديث تكمن بالتحديد في تحول المدن و الأحياء إلي مجموعة من البنايات المتناثرة تاركة فراغات لا وظائف لها. فهل يتعلق تطوير المدن بمدّ العمران و زيادة عدد البنايات؟ أم يتعلق بإنشاء مدن وأحياء مستدامة قادرة على استيعاب ثقافة الشعب و التلاؤم مع ظروفه الاجتماعية والجغرافية و المناخية؟.

وفي النهاية نقول أن المخطط العمراني الأكثر ايجابية يقع في نقطة تقاطع لوظيفتين واحدة ثابتة تتمثل في المداومات المحلية، سواء كانت اجتماعية، ثقافية أو جغرافية والأخرى متصاعدة تمثل معايير التطور العالمي للتكنولوجيا. إن المهندس المعماري تقع عليه مسؤولية تجسيد مضامين الحضارة إزاء تقنيات العصر ومنه فتقنيو البناء لن يستطيعوا القيام بدورهم كما ينبغي إلا إذا استطاعوا المزاوجة والجمع بين تقنيات العصر وثقافة الشعب.

المراجع:

[1] Chevalier, D. (1979), L’espace social de la ville arabe, Maison Neuve et Larrose, Paris.

[2] Dziurdzinski, L. (1984), Critères et méthodes d’appropriation du paysages et du patrimoine, Colloque de Constantine : du traditionnel au contemporain, la question de l’espace approprié. Constantine, Algérie.

[3] Fathy, H. (1970), Construire avec le peuple, La Bibliothèque Arabe Sindbad, Paris, 4ème édition.

[4] Rahman.D, "l'évolution spatio-temporelles du réseau urbain régional. Le cas de l'Est algérien.", les documents de la recherche en sciences humaines de Caen n°15 press universitaire de Caen, 2005.

[5] Burgel.G, Hammache.S, "Villes Algériennes", in les annales de la recherche urbaine, n°99. pp138-139, Decembre 2005

[6] Avranmides.J.M, Bessiere.L, Pinon.P, "Site et développement urbain" Documentation Française, Paris 1974, p54

[**7**] Faye.P,Faye.B, Tournaire.M, Godard.A, "Site et sitologie", ,pp10-15, Poitiers, Octobre 1974.

[**8**] Alain.R, "Morphologie urbaine" édition, Armand Colin, pp100-103, Paris 2004

[**9**] Arnold.F, "Le logement collectif (de la conception à la réhabilitation), 2eme édition du moniteur, pp32-38 Paris 2005

[**10**] Mongin.O, "La condition urbaine, la ville à l'heure de la mondialisation", in les Annales de la recherche urbaine, n°100. pp158-159, Juin 2006.

[**11**] Desablet.M, "Des espaces urbains agréable à vivre", pp 23-29, 2eme édition du moniteur, Paris1991.

[**12**] Rapoport.A, "pour une antropologie de la maison" édition Dunod, 1972 , pp116-143

[**13**] Wright.D, Soleil, nature, architecture édition Parenthèses 1979 , pp88-91

[14] عبد المتطلب محمد علي احمد،"ملامح الفكر البيئ للمسكن التراثى بين النظرية و التطبيق لعمارة الصحراء". المؤتمر المعماري الاردني الثاني "العمارة و البيئة، نحو بيئة مستدامة". عمان، 26 -28 سبتمبر 2000 ص153- 178

[**15**] Kitous.S, Daoudi.N, Boussoualim.A, Bensalem.R, Adolphe.L,"Pour un urbanisme climatique des villes:Cas de la vallée du M'zab.In "Living indeserts:Is a sustainble urban disign still possible in arid and hot regions."Ghardaia, Algéria, 9-12 December 2006 .pp128-171.

[16] قبيلة فارس الملكي،"مجتمعية العمارة العربية، العمارة بين نزوع المجتمع و واقع الحال". المؤتمر[16] المعماري الاردني الثاني "العمارة و البيئة، نحو بيئة مستدامة". عمان، 26-28 سبتمبر2000 ص123-135

[17] Raymond.H, "Modèles culturels" in séminaire "Modèle culturel et habitat",février 1976. pp71-84

[**18**] Pagand.B, "La ville Arabo-Musulmane" in La medersa en chantier, projet réalisé avec le soutien de "Djazir, une année de l'Algérie en France", édition école d'architecture de Grenoble, p42, Mars 2004

[**19**] Berger.P, Nouhaud.JP, "Formes cachée La ville" , pp73-169, Presses Polytecnique et universitaire romandes.2005

[20] قدورة محمود، "التنظيم المكاني للمدينة العربية الإسلامية " . مجلة المدينة العربية- منظمة المدن العربية- العدد23- 1987،ص65.

[**21**] Ministère de l'environement et du cadre de vie, "Intégration urbaine et architecturale", direction de l'urbanisme et des paysages, service technique de l'urbanisme, Février 1980, p21.

[22] حيدر عبد الرزاق كمونة، "اثر الفكر الإسلامي علي التشكيل الحضري". المؤتمر المعماري الأردني الثاني "العمارة و البيئة، نحو بيئة مستدامة". عمان، 26-28 سبتمبر 2000 ص1-14

[**23**] Mangin.(D),Panerai.(P), Projet urbain Collection eupalinos, édition arenthèses, **1999**p118-121

[**24**] Ardalan.N, Bakkhtiar.L, «The sense of unity, university of Chicago press, U.S.A., 1973, p17

[**25**] Emelianof.(C), La ville durable, unModèle émergeant. Thèse de Troisième cycle de géographie, université d'Orléans, 1999 pp

[**26**] Picon-Lefebre.V , Les espaces Publics moderne, Collection Architextes, édition le Moniteur.Paris 1997pp198-199.

[27] عبد المتطلب محمد علي أحمد. "ملامح الفكر البيئي للمسكن التراثي بين النظرية و التطبيق لعمارة الصحراء" المؤتمر المعماري الأردني الثاني "العمارة و البيئة، نحو بيئة مستدامة". عمان، 26-28 سبتمبر2000 ص103-178